جامعةالسودان للعلوم والتكنولوجيا
كليـة الدراسـات العليـا

ترجمة رواية (المئذنة) الصفحات من(52-102)
للكاتبة الروائية: ليلى أبو العلا

Translation of the (Minaret) Novel from pages (52 -102)
Written By: Leila Aboulela

Partial Research to get Master Degree in Translation

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الآداب في الترجمة

إعداد الدارس : **محمد يوسف محمد ذهب**

إشراف: **د.تاج السر حسن بعشوم**

2017م

استهلال

ٹ ڈ

چ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ
ھ ھ ہ ھ ہ ہ ہ ۂ ہ ڈ ڈ ٹ ں ں ں ں
چ ۄ ۅ ۅ ۄ ۄ ۄ ۃ ۃ ۓ ے ے ے

النمل: ١٨ – ١٩

صدق الله العظيم

الإهداء

للغاليين أمي وأبي تعبيرً ا عن حبيلكما وتقديرً ا لما قدماه لي

أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وعرفان

إن الحمد لله نحمده سبحأنه وتعالىحمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطأنه، فقد سدد الخطى وشرح الصدر ويسر الأمر، فلله الحمد كله وإليه يعود الفضل كله. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الأمين الذي بعثه اللهمرشداً ونورً ا.

لا يسعني بعد شكر الله، إلا أن اعترف بذوي الفضل علىَّ، أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من مد يد العون في سبيل إتمام هذا البحث. ويسعدني أن أدون شكري وتقديري بحرف تليق بمقامه إلى المربي الأب الخلوق الدكتور/ تاج السر حسن بعشوم، والذي سعدت بإشرافه على هذا البحث، فكان لعلمه الفيَّاض وتوجيهاته البناءة الأثر الكبير في إشرافه وتوجيهه. واتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة في كلية اللغات بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، والتي اعتز بأني أحد طلابها. وكان لهم الأثر الواضح في صنع فكر جديد للباحث. والشكر أيضًا إلى أصدقائي وأخواني الذين كانوا السند الأساسي في المراحل الدراسية، والشكر من أعماق قلبي إلى زملائي الذين وقفوا بجانبي حتى اكتمل هذا البحث. ولكم مني فائق الشكر والاحترام.

مقدمة المترجم

يتضمن هذا البحث ترجمة الصفحات من (52-102) من رواية "المئذنة" للروائية السودانية ليلى فؤاد أبو العلا، التي تعتبر مساهمة عالمية في عكس الصورة الحقيقية للأدب السوداني باللغة الانجليزية. وتم تحديد هذه الرواية لجائزة "أورانج" للرواية الطويلة وأيضا لجائزة "إيمباك دبلن".

الكاتبة ليلى أبو لعلا استطاعت في هذه الرواية أن تقدم صورة مختلفة عن المرأة المسلمة من خلال بطلتها. فالمرأة عندها وجدت ملاذها وقوتها في الدين ليس بالهروب منه، كما هو سائد في الأعمال الحديثة.

للترجمة أهمية قصوى في الحياة الإنسانية لذا ركزت عليها كل الأمم على مر العصور المختلفة إلى يومنا هذا وأصبحت جسر تواصل بينها في جميع العلوم.

تعهدت الكاتبة على نقل ثقافة المسلم من الشرق إلى الغرب، وصفت هذا في جزئين أولا: حياتها في الخرطوم عندما كانت تعيش على رغد من العيش والرفاهية، عندما نشأت في كنف أسرة ميسورة الحال في البلاد. كان والدها يعمل في مكتب لرئيس الدولة. كما اعتمدت أيضاً على أهمية الترابط الأسري.

ثانيا: حياتها في لندن جسدت الكاتبة بطلة الرواية باسم نجوى فوجدت المجتمع الغربي لا يحترم الخدم فقالت: (أعلم من التجربة أن المخدمين لا يحبذون للمخدم توبيخ أطفالهم، لا يهم ماهو الضرر الذي فعله الطفل).

أظهرت أيضا أهمية الدين الإسلامي في جملة: (لا ملجأ غير الله) التي قالتها لأخيها في السجن، وصفت الكاتبة كل هذه الأحداثوصفاًدقيقاً في سردها للرواية باستخدامها الفعل الماضي. هذه الأحداث شدت انتباه الباحث ليصول ويجول كي يأتي بالترجمة المناسبة للنص الأصل وأيضًا استخدام اللغة الانجليزية خالصة، تلك هي الصعوبات التي واجهت الباحث.

لذا كان على المترجم أن يتعمق في فهم المعاني ويعمل عملاًمتواصلاً ويبذل قُصارى جهده في إيصال المعنى الصحيح للقارئ.

أسال الله تعالى أن يفيد بهذا الجهد المتواضع طلاب وطالبات الترجمة في مجال الأدب.

الفهرس

الموضوع	***الصفحات***
استهلال	***2***

الإهداء	***3***
شكر وعرفان	***4***
مقدمة المترجم	***5***
الفهرس	***6***
الفصل السابع	***7 - 10***
الفصل الثامن	***11-15***
الجزء الثاني لندن (2003)	
الفصل التاسع	***16-24***
الفصل العاشر	***25 - 30***
الفصل الحادي عشر	***31-37***
الفصل الثاني عشر	***38-42***
الفصل الثالث عشر	***43 - 46***
ملحق	**النص الأصل**

الفصل السابع

لم يكن بابا يشاطرنا أمانيه دوماً ولكنه فعل هذا في ذلك اليوم. كنا في المزرعة وكان يرتدي قميص "سفاري". كانمتضايقاً بعض الشيء لأنه لم يكن يحب التجمعات الأُ سرية التي تنظمها أمي. كان يفضل اللقاءات مع أصدقاء العمل

والاتصالات المفيدة على الرحلات الخلوية التي تمتد ليوم بكامله يقضيها في لعب الورق والأكل المستمر. مال للوراء على كرسي البلاج الذي كان يجلس عليه وهو ينظر إلى أعلى إلى طائرة صغيرة مرت فوقنا وهي ترش مبيد الحشرات.

قال: "سوف تكون لي يوماً ما طائرة نفاثة خاصة بي – بعد ثلاثة أعوام على أكثر تقدير – لقد خططت لذلك تخطيطا كاملا". صحت أنا وعمر في آن واحد "واو!" كنا نجلس على الحشيش على بساط للرحلات الخلوية.

واستمر بابا قائلا: "تأملا في حال أبيكما يا صغاري, لقد بدأت من الصفر – من غير والد ولا تعليم جيد، من غير شئ. والآن سوف تكون لي طائرة نفاثة خاصة بي".

قال عمر: "سوف اتعلم قيادتها سأتلقى دروساً في ذلك."

نظر إلينا بابا من فوق نظارته ذات الإطار الذهبي وسألنا: "طيب.. كم تبلغان من العُمر الآن؟"

قال عمر بطرب "تسعة عشر"

قال بابا: "هل بلغتما التاسعة عشرة؟ وأنت أيضا يا نجوى؟"

قلت مبتسمة "نعم".

قال بابا: "ظننتكما في الثامنة عشرة" - كان يداعبنا

قال عمر: "كان ذلك السنة الماضية". ضحكت.

كانذلك شيئاً نادر الحدوث ولكننا كنا أنا وعمر نرتدي ملابس متطابقة الألوان في ذلك اليوم.

كنا الاثنين نلبس جينز من ماركة "رانجلر" وكنت أنا ألبس سترة براقة عالية بيجية اللون وكانعمر يرتدي قميصاً بيجيا بأكمام طويلة.

جاءت ماما وإلتقطت صورة لنا. بعد مضي عدة سنوات، وبعد أن انتهى كل شئ، بقيت تلك الصورة. أنا وعمر مبتسمان، وزهرة قرنفلية مثبتة في شعري، ساقاي

مخلوفتان، ومرفقي على ركبتي وكفي على ذقني. كانعمر قريباً جداً مني، ظهره مستند على يدي، عيناه براقتان وساقاه ممتدتان، وكفه موضوع بعفوية على المسجل، أشرطة الكاسيت منتثرة في الحجرة وعلى البساط ذي المربعات الحمراء والبيضاء.

وبعد مضي سنوات طويلة، حيث انتهى كل شئ، بقيت هذه الصور وبدأت أحدق النظر محاولة أن أميز الأشرطة على البساط من خلال ألوانها والكلمات المسطرة عليها، تلك الأشرطة التي كنا نشتريها في عطلاتنا الصيفية في لندن: "مايكل جاكسون" و"ستيف وندر" و"هوت شكوليت" أشرطة الـ"بوني إم" الخاصة بي.

وبدأ كل شيء بالزوال في تلك الليلة، لاحقًا بعد النزهة والمشويات، وبعد مغادرة الضيوف إلى منازلهم، ونحن أيضًا غادرنا إلى المنزل، بعد تناول الكباب المحمر والسلطة، الفول والبيض المقلي، البطيخ والجوافة وعدنا إلى منزلنا، كنا هادئين جميعا ومتعبين، غسلت شعري في تلك الليلة ذلك لأن كل الغبار كان عالقاً فيه.

تفحصت أن نملة لسعتني في مرفقي، لم أتوقف من عملية الحك لأنها تختفي تارة وتظهر تارة أخرى.

سمعت رنين الهاتف عند آخر الليل، قريبا من الصبح، سمعته وتيقنت أنشخصاً ما انتقل إلى الرفيق الأعلى. وهذا الأمر يحدث قبل وفاة شخص عزيز من الأقارب، وصديق ذي علاقة وطيدة. ويتطلب ذلك مغادرة بابا وماما المنزل عند منتصف الليل.

كما يقولون: عند الصباح في الأيام المقبلات "أن نأتي بمجرد سماعنا للخبر.. نحن نأتي عند الليل" لم اترك فراشي، أنا لست فضولية سمعت صوت بابا على الهاتف لكن لا استطيع أن أميز الكلمات. اتمكن من سماع صوته وهنالك شيء غير طبيعي. لم تكن هذه اللدغة والرعشة عند موت شخص ما. وجلست على فراشي، والقيت نظرة إلى الغرفة في أتنٍ لكي أركز وعيني تتكيف مع الظلام، مازال الليل بارداً، لا نحتاج للمكيفات الهوائية، لا اتمكن من سماع الهاتف. كان باب غرفة عمر مغلقاً. ونزلت إلى الأسفل فكانت غرفة الوالدين عند الزاوية. كانت الغرفة مضيئة والباب مفتوحاً جزئيًا ونظرت إلى حقيبة السفر على الفراش، وخلفه ماما وضعت بعض

الجوارب على الحقيبة، والتي مسبقا كانت شبه ممتلئة. ارتدى ملابسه، وقام بتزرير قميصه، والتفت والقى نظرة علىَّ وكأنه لم يرني وكأني مثل الشيء عادياً ، أو أنه ذاهب عند منتصف الليل، "أذاهب أنت إلى الخارج؟" أنا اسأل ولا أحد منهما يجيب على السؤال، ماما استمرت تجول في الغرفة، متحزمة وفي حيرة كأنها تسمعصوتاً في رأسها كانت تسمع صوت الأشياء، تحدثها عن ماذا تفعل؟.

قالت لي: "عودي للنوم" خطوات مسرعة قادتني إلى الحمام. وبدأت مع نفسي عند مرآة الحمام، ونعمت حواجبي وأعجبت ببجامتي الصفراء التي تغطي جسدي.
وتناسيت ما حدث مع بابا، بينما أنا أخرج من الحمام، سمعت أنه بدا بتشغيل محرك السيارة، تيقنت أنه هو الذي قام بتشغيل السيارة لأن السائق موسى لم يكن معنا فهو يذهب إلى منزله كل ليلة، اندهشت أين بابا كان ذاهب؟ . إلى أين كان مسافر؟، ولماذا لم يحدثني أن شخصا ما عزيز قد مات خارج البلاد؟ وذهبت إلى غرفة عمر وبدأت أوقظه. هو استيقظ لكنه لم يأتِ معي إلى النافذة. ونظرت من خلال الستائر،
واستوعبت أن بابا كان يخرج السيارة خارج الجراج، فوق حصاة ملساء إلى البوابة، ورأيت أن الحارس الليلي قام بسحب البوابة بفتحها له، بعد ذلك رأيت سيارة أخرى تنير أنوارها الرئيسة مسرعة في طريقها إلى بوابتنا مقابلة سيارة بابا. ثم خرج رجلان من السيارة، أحدهما يجول حول البوابة والآخر ذهب وفتح باب سيارة بابا، لما كان يفعل السائق موسى يقوم بفتحها له يوميًا ولكن لم تكن نفس طريقة فتح الباب، نعم لم تكن مثل طريقته. قام بابا بإيقاف محرك السيارة وخرج منها. تحدث معه الرجل وأشار إلى صندوق السيارة قال الرجل: إلى صديقه شيء وقام صديقه بفتح صندوق السيارة وأخرج حقيبة السفر، وبدأوا يسيرون في اتجاه سيارتهم وتركوا سيارة بابا عند قارعة الطريق المشجر، فلاهي داخل المنزل ولاهي خارجه، اخرج بابا شيئًا من جيبه احتمال نقود أو مفتاح السيارة وأعطاها إلى الحارس الليلي، وذهب مع الرجلين بسيارتهما وجلس على المقاعد الخلفية وأنا أعلم أن هناك خطبًا ما.
وينبغي عليه أن لا يكون في المقاعد الخلفية. وأنا لم أره ابدأ يجلس على المقاعد الخلفية، إلا على سيارة الأجرة أو عندما كان يقود موسى السيارة. وماما بجانبه.

افزعتني ماما، لتصد نفسها من البكاء بطريقة طحن أسنانها ولتخيفني ضربة النافذة بقبضة يدها برفق. أتى عمر فوضع ذراعيه حولها، مبعدها بعيداً عن النافذة.

قالت: ما الأمر؟ أين هو الخطأ أخبريني يا ماما؟

وكان صوتي طبيعياً وهادئاً، ونظرت إلى الطريق الخاوي والمظلم، على سيارة بابا المتروكة والحارس الليلي حاول إغلاق البوابة وتيقنت أنه لم يستطع.

وهو لم يستطع أن يحرك السيارة لأنه لا يجيد القيادة، وعليه أن ينتظر حتى الصباح لحين حضور موسى.

ماذا حدث ماما؟ وكان صوت عمرهادئاً ، وجميعهم كانوا يجلسون على فراشه.

فقالت: إنه انقلاب.

الفصل الثامن

كانت أسابيعنا الأوائل في لندن لا بأس بها. نحن لم نتذكر حتى لو كان الأمر انتهى. الصدمة الوحيدة التي بعد القبض على بابا وفجأة في اليوم التالي ارتحلنا أنا وعمر لم نجد المساعدة من أحد لكننا مستمتعون في لندن، نحن لم نكن هناك قبل أبريل وأول

شيء قمنا بفعله ذهبنا إلى طريق "أوكس فورد" لشراء الملابس، كان من المضحك أن نفعل كل الأشياء التي لم نفعلها عند عودتنا للوطن، التسوق في البقالة ودفع المكنسة الكهربائية حول المنزل وطبخ الطعام المتجمد، ومن المضحك أيضًا أن نفعل كل الأشياء التيدائمًا ما نفعلها في الصيف. ذهب عمر إلى السينما عند صينية لستر، وأنا لا أعلم كم عدد الأشرطة التي اشتراها من إتش أم. وأنا ذهبت من خلال "سلفريدجز" في البحث عن العطور ووجدت نفسي في مواجهة مجموعة "أليزابيث أردن". لكن ماما لم تكن على بعضها، كانت في خارج وعيها وأحيانًا في بكاء من غير أسباب، تهمهم عند منتصف الليل، ممتنعة من إثارة جمال لندن، ترفض أن تخرج للتسوق دائماً في متابعة أخبار الانقلاب، تحيط بكل الجرائد العربية، بما فيها جريدة "ذا تايم وجاردن" واتصال دائم،وتاركة التلفاز مفتوحاً طول االوقت. وشقتنا على بوابة "لنكاستر" دائما ما تكون ممتلئة بالسودانيين وآخرين من رجال الأعمال عند عبورهم لندن. والعاملون بالسفارة مشغولو البال في انتظار التغيير الواعد الذي ستحدثه الحكومة الجديدة، وجميعهم يطمئنون ماما عن أحوال بابا، قريبا ما يتم إطلاق سراحه وسيلتحق بكم هنا.

كما عبروا قائلين: "سوف يموتون كل ذلك إلى اسفل"، كما قالوا: "تحلين بالصبر، سيتشددون في بداية الأمر وبعد ذلك سوف يتراخون". استمعت لهم بإصغاء وسعيت بخدمة القهوة والشاي، ماما وجهها غير مستنير من دون مستحضرات التجميل، وشعرها خارج من الكعكة لأنها منذ فترة طويلة لم تذهب لتصفيف شعرها. كانت السترة التي ترتديها تحت ثوبها ذات لون داكن.

هاتفتني رندة من كليتها في ويلز.

أنا لم اصدق، أنت حقا هنا! وهي صرخت "أنا لم أصدق إنها - كانت تقول مجرد وداعًا سأعود..."

"ماذا بعد؟ كم من الزمن تودون المكوث هنا ؟" ماذا عن الجامعة؟ لا أعلم رندة؟ وجلبت كل الدفاتر والكتب معي ...".

"لكن هذه الحكومة الجديدة تتقدم بنجاح للانقلاب" اعتقد ستمكثين هنا بأمراللجوء السياسي." ولربما يسمحون لنا بالرجوع.

أنا لا أعلم عن أبي أي شيء.

"أنت تستطيعين أن تأتي هنا"

"أين؟" هنا في الكلية الأطلنطية معي.

هذه الفكرة لسبب ما إنها ترعبني، عمر سيحب ذلك - لكن رندة حدثتني عنك، أخبريني ماذا عنك؟، هل تدرسين هنا في ويلز؟ هل العمل صعب؟ هل تسلقت الجبل؟ سأخبركم عن كل هذا قريبًا. لا استطيع المكوث على الهاتف طويلا"حسناً . أعطي سامر خطاباً ، سوف يأتي لرؤيتنا عند العطلة الأسبوعية" نعم حسنا سأفعل. تسببت له صدمة في فترة قصيرة، رندة لقد نسيت أن أخبرك - ساندرا حامل..." مااااذا!" وهي همست وهذا عار كبير، حتى السفارة الأمريكية لها يد في ذلك وهذا لا يعني إبعاد الجنود البحرية من السودان.

حاولت أن أضحك بطريقتي الخاصة ولكن الصوت الذي خرج كان كالكحة المتكتلة.

أتى سامر في العطلة الأسبوعية، يرتدي جينز باهت ومعطف جلدي وفي حوزته نظارة جديدة.

وحضن عمر بقوة وشعرت بصداع مرة ثانية على جبهتي. بدأ يأتي لي من حين إلى آخر. فقبل ماما وهي بدأت تجهش بالبكاء، جميعنا الحزن ينتابنا.

أي أخبارعن السودان؟ سامر جلس على أحد الكراسي ذات الوسادة وعمر جلس على الآخر، وجلست على الكرسي الطويل مع ماما. وكانالتلفاز مفتوحاً ، كنا نكرهه أحيانا في هذه الأيام صورة من غير صوت. هم يريدون أن يختبروه قال عمر ذلك. ماما لمست برفق بالمنديل أعينها، وفمها يمتد بالفتح. إن شاء الله الكل سيكون بخير. سامر قام بتغيير جلسته على الكرسي ذي الوسادة، وكأنه يكبح غضبه من أعماقه على المسندة الناعمة. لكن ماذا إذا لم يغادر المنزل ليكون بخير. أردت أن أقول: ماذا

يفعلون إذا وجدوه مذنباً ، وماذا إذا كان هو مذنب، ماذا بعد؟ كأني أدركت لماذا كانوا هم يحولونه لمفسد. ماذا يعني هذا؟ كيف أن هذه المستندات لها علاقة مع بابا؟ لا يجب علينا تركه، وعلينا البقاء معه، ماذا كنا نحن نفعل هنا؟ الخال صلاح هو من قرر أن نأتي إلى هنا وهو من قام بترتيب كل شيء، كل ذلك في زمن وجيز، لحملنا على آخر طائرة خارجة قبل أن يغلق المطار.

لكن ولربما كان هو مخطئ، ولربما علينا البقاء، ولربما خروجنا على الخارج سوف يدل على أن بابامذنباً. ألم نكن قد مثلنا كأنه هو مذنب؟ لكن لا يمكنني قول أي شيء، فتحت التلفزيون بالإضافة إلى ذلك أخذت بسكويت الشوكولاتة بالقهوة والمسلسل الدرامي الجديد. كلما كنت أشاهد التلفزيون نسيت الكل عدا بابا، الطعام السيء الذي يتناوله في ذلك المنزل المسجون فيه، للمحكمة القادمة. الآن الرئيس في الولايات المتحدة. اتصل على ماما وتحدث معها في الليلة السابقة، كل هذا من خطئه، وهي قائلة بعد الاستئذان كل هذا من خطئه" .

لكن على الهاتف كانت لطيفة ومحترمة، وبنفس الطريقة دائما ما تكون غيرمتعالية مع معاليه. سامر، هل تحبذ الشاي أم شيء بارد؟ ابتسمت له، سعيدة لرؤية وجهه المألوف.

وهو قائل: "امتلك رسالة لك من رندا" أخذتها منه لقراءتها داخل المطبخ .

"أين الشاي؟" ماما صرخت توقفت في وسط الوصف لرندا لحب البقر "كم هذا غريب "سخيف" كان هذا جزء من المقرر الدراسي". وأشعلت غلاية الشاي.

كانت الهوت بيتزا دافئة وقاموا بتشغيل كل قائمة الأغاني الأخيرة والأغاني التي نحن كنا نعرفها.

ونحن ثلاثة تناولنا بيتزا من المأكولات البحرية وسامر طلب شيء لم أتناوله من قبل- خبز محمر بي الجبنة .كان جميلاجدًا. في الخارج مع البرد كانت صينية لستر مليئة بالإنارة البهيجة أو الجميلة، وهذا ما أنساني أنه الليل. الناس يخرجون من المسرح مباشرة إلى المطعم ومحطة قطار الأنفاق، وقف حافظ النظام أمام النادي الليلي

يرتدي معطفا ذا ترابيع مضخمة. في إحدى أصغر دار السينما (ساتردي نايت فيفر) لا زال شغال وقفنا أمام ملهى للرقص (ديسكو) نحن نستطيع سماع قرع الطبل لمايكل جاكسون (بيلي جاين) وميض أحمر وإنارة البطارية. هل أنت مجنون؟ كيف نذهب نحن إلى الديسكو؟ غضبت منعمر لمَ لا؟ وهو قام بتقليد مشية رجل الفضاء، كانت جيدة لكني لست على مزاجي لتمجيده.اخبره ولمَ لا؟ القيت النظرة على سامر لكنه هز كتفه وتحرك بعيدا منا كأنه حذر متكبر بهيئته الجديدة. قلت لعمر:

"نحن لا نستطيع الذهاب إلى الديسكو لأسباب بابا" ماذا يقول الناس عن حياة الرجل في السجن وأطفاله يرقصون في لندن. الناس الذين تظنين أن يعرفوننا هم هناك؟ لا تكوني سخيفة. اتجه إلى سامر ليسانده لكن كان مشغولا لفحص واجهة العرض "بالضبط هناك ليكون شخصا آخر بالداخل ليعرفنا " .وقد يحدث ذلك لماذا نتعود للتعرض للخطر؟ أنت مهووسة بالذي يقولونه الناس عنك، أنا لست مهووسة" أدركت لو كنا في الخرطوم لم نذهب إلى الديسكو "نحن لسنا في الخرطوم. أنظروا، لنذهب إلى المنزل فقط"حسنا سوف نذهب إلى المنزل.

أتجه عمر وبدا بالسير في اتجاه الديسكو. سامر بأعلى صوت هيا" قال: سامر "سوف نذهب إلى المنزلأولاً هو لا يريد أن يأخذني إلى المنزل أفزعت من خلقه وكان هو معنا . كأنما حدث هذا الشيء جعلنا أقل منه .كأن جميعنا نشأنا ولا زلنا نحن صغار قلت كلا أبقى مع عمر .أنا بخير بجانب نفسي .كانت شقتنا تبعد بقليل من الخطوات فقط، بواسطة ميترو الأنفاق .كانت أرضية القطار مغطاة بعقب السجائر والعلب الفارغة كان الركاب متوترين ويغلب عليهم النعاس شعرت كأننا متحركون للهلاك وزمنغير مجزٍ .كأن بابا ليجدونه مذنبا. ماذا لوا اختبروه مره أخرى؟ سوف يكون هذا هو العدل بالأوراق التي يحملها معه .كان نظام الحكم الجديد مدعوما من قبل الجبهة الديمقراطية. وهو كان أحد أتباع النظرية الشعبية للنظام أو نظام الحكم الشعبي:

إنه لا يكثر من طرف أعدائه.

إنه لا يجمع السلطةعلى يده الطبقة الراقية (النخبة) .كان أعضاء الجبهة قد منحوا مناصب في الحكومة الجديدة محاضرنا الشيعي كان يدرسنا عن الخلع للكاتب "روسة" وهو الآن وزيراً للمإلية. درسنا كل ذلك على الورق، بعد ماما أهملتهم . وقرأت رسالة عن بابا كتبت بواسطة طالب - الآن الطالب في مقدمة الثورة . الرسالة تقول: ولربما يكون العدل لا شيء كان عادل العقاب عقاب الفساد خير الحساب عقد حبل المشنقة. كتبت الرسالة من قبل طالب أعرفه جيدا .كانت الرسالة كتبت من أنور.

كل هذا من أنواع الألم، درجات من السقوط أسابيعنا الأوائل في لندن نحسب أن الأرض معدة تحتنا. حينما وجدوا بابا مذنبا نحن تدهورنا، امتلأت الشقة بالناس ماما تبكي، عمر قفل الباب، مكث بالخارج كل الليل .

عندما بابا شنق الأرض التي كنا نقف عليها انفتح فيها شق، ونحن سقطنا سقوطا بلا نهاية. يبدو أنه بلا نهاية، كأننا نحن سوف نسقط ونسقط من غير هبوط، كان هذا هو عقابنا، حفرة لا آخر لها، صرخة لأي حدة صرخة من الألم .

ببساطة يبدو أننا لم نكن مألوفين لبعضنا، لم يسبق أن أحدً منا سقط من قبل .

الجزء الثأني

لندن 2003

الفصل التاسع

لمياء صاحبة العمل الجديد، استجمعت قواها قامت بفتح باب شقتها .

هنالك إضاءة فوق رأسها وهي هادئة البال حيثما كانت في المسجد عند حديقة "ريجنت" . وصوتها كأنها مريضة للتو أو مستيقظة من النوم، حين ردت لتحيتي،

ترتدي جينز وسترة جذابة من الصوف المحبوك. وجها ليس جميلا، لكن بنيتها الجسمانية شعرها والسترةالتي ترتديها عوَّضت لها عن ذلك، اخفضت نظري ورأسي للأسفل كأني دربت نفسي لأفعل ذلك، وهذه ليست وظيفتي الأولى، أنا أعلم كيف تكون الخادمة محترمة. خلعت حذائي وتركته بالقرب من الباب. وخلعت معطفي وطويته وقمت بوضعه فوق حذائي أنه ليس من اللطف أن تقوم بتعليقه فوق المعاطف التي تتبع للأسرة على الشماعة . يجب على أن اعلم أن أكون حذرة في كل شيء لأفعله، يجب على أن لا أنام. اليوم الأول الساعات الأولى هي مصيري الحتمي، سأكون تحت المراقبة التجريبية لكن أولا يجب أن أنال ثقة لمياء سوف تتناساني. لتأخذني للمساهمة. وهذا هو هدفي أن أكون خليفة لحياتها (خبرة).

هي أغلقت الباب من خلفي وسمعت التلفزيون، صوت طفل صغير وصوت امرأة كبيرة في السن. قمت بمتابعة لمياء إلى الأسفل. بالممشى تابعين صوت التلفزيون.

الشقة متواضعة ولطيفة – توقعتها تكون أكثر فخامة، وفي حي أنيق ومبنى جيد .

دفعت لمياء الباب لفتحه، باب خشبي سميك ذو صلابة ومحتك عكس حائط السجاد. غرفة الجلوس غنية، بالنوافذ الواسعة التي تطل على الحديقة ذات الأشجار الخريفية مورقة.

ظلال الأوراق يتردد على السجاد والأضواء داخل الغرفة تأخذ اللون البرتقالى.

تتوهج الخضرة على كل أثاثات الطريق على البوفيه وطاولة العشاء المصنوعة من خشب أشجار المهوقني – أحاول أن أوقف عيني بأن لا أذهش كثيرًا .

تفقد الأشياء تقلل الاحترام للآخرين وكأنها تعطي طابعا أنانيا من أنواع الذين يسرقون .

دخلت إلى كثير من الغرف كما استطعت أن اخفض نظري .تجلس على الأرض بنت صغيرة ذات شعر ناعم ومنكوش يحيط بها بعض من القراميد والدُماة، منهمكة بأعينها على التلفزيون. وتجلس على الكرسي ذي الذراعين آنسة أصابها الكهول،

النظارات منزلقة على أنفها، وهي تقرأ ما تحتويه الصفحات الخضراء من جريدة الشرق الأوسط ، وعينيها منتفختان بجدية من فوق النظارة .

ونظرت للأعلى لتدرسني المتبقي من الجريدة كانت على ركبتيها وشعرها قصير مقطع بشكل خطير لكنه منعم بلون الحناء. قالت: "السلام عليكم" .

لمياء قالت: (أمي هذه نجوى، وبعدها الدكتورة قدمت أمها لي. الدكتورة قالت: "اهلا نجوى" غدا سأغادر إلى القاهرة، إن شاء الله ومسؤولية كل هذا البيت ستكون عليك – ابتسمت برشاقة ورديت لها بصوت مضخم قوي سأتبع مسؤوليتي الأولى. وجلست على الأرض بالقرب منها على ركبتي.

قلت: مي، مي، كيف حالك ما الذي تشاهدينه؟ وهي لا تستجيب. لمياء بصوتها الناعس، مي، قولي: "السلام عليكم" إلى نجوى، وهي أتت إلى هنا لتلعب معك.

رفضت الصغيرة النظر لي مرة واحدة من غير أريحية وسرعأن ما عادت إلى "تليتبيز" .

قالت جدتها: الدكتورة قالت: "أتركيها وهي تركز على التلفزيون أنها من علامات الذكاء حين تركز جيدًا " .

وشرحت تركيزها وهي عادت لتقرأ جريدتها.

لمياء قالت: "هيا دعيني أعرفك بباقي الشقة قبل أن أغادر".

غرفة أخرى، غرفة النوم وأيضا مطلة على الحديقة. وهي منعزلة للتأمل تحتوي على سريرين وسرير للطفل. لمياء قالت: "هذه غرفتي أنا وأمي، زوجي يعمل في عمان ويأتي كل ستة أسابيع أو إجازة طويلة. هو بالتأكيد غادر إذا سيكون هنالك بعض

الوقت قبل أن يأتي مرة أخرى. هل أنت سكنت في عمان من قبل؟ تجرأت بفضولي لكني ادركت أنه لا يحق لي أن اسألها سؤالا. هي خدعتني كما فعلت أمها .

نبرة أمهاواضحة مصرية وهي غدًا ذاهبة إلى القاهرة لكن نبرة لمياء تأثرت بالخليج ولونها أغمق من أمها.

" نعم، نحن كنا في مسقط.. دعيني أعرض لك ملابس مي". وعرضت لي ملابس مي وأين تحفظ حفاظ الطفلة .

وقالت: غيري لها في السرير. حاولت أن أغير حفاظ الطفل لكن ماازالت ترتدي حفاظً آخر.

للتو غيرت اثنينحقًا أن يكون حفاظ الطفل نظيفا، في تجربة صوتها بطريق أحلامها وكأنها تفكر في أشياء أخرى. وهي أن تكون ذكية كما تعتقد لتعمل الدكتورة .

"هنا المطبخ".هو جزئيا مظلم، في وسطه طاولة كبيرة مستطيلة، وكرسي مي على الطاولة .عليك بتشغيل هذه التسجيلات لمي حين تأكل، وإلا لن تأكل، وهي إشارة في غموض على اتجاه تسجيلات الأشرطة على شباك المطبخ .لسوء حظها لم تكن تمتلك مغسلة للأواني.. كومة من الأطباق مغمورة على الماء. عرضت مغسلة الملابس وهي أيضا متسخة، وعرضت كيف تفتح أدراج المطبخ الماكرة وطيها مع طاولة المكواة .وفي أسفل خزانة ممتلئة بملابس تحتاج للمكواة .

لمياء عرضت لي أين تحفظ المكنسة الكهربائية والممسحة، والمكنسة العادية . فأشارت بأصبعها الأمامي على صلصال بلاستيكي أحمر اللون على أرضية البلاط ومن الصعب أن ينظف، أنا وأمي سئمنا منها.

نحن نذهب للأسفل إلى الصالة، هنالك غرفة للغسيل والحمام، كل بلاط الحمام ذا لون بني. قالت: هذا البلاط البني متعب، علينا بمسح أي قطرة ماء أو تظهر البقع، وفي نهاية الدرب الضيق هنالك غرفة صغيرة مظلمة، تحتاج إلى إنارة لتتضح الرؤية. هنالك سريران ومنضدة للتزيين وعند الزاوية حوض للغسيل.

قالت: "هذه غرفة أمي وأخي تامر. كثيرًا ما أتودد لرؤيته، لديه محاضرات في الصباح باكرًا ويعود إلى المنزل متأخرًا " .

وفي صوتها شيء جعلني أخمن أن أخاها أصغر منها، على الأصح هو الأصغر سنا . وفي دهشة اذا كان ذلك الشاب الذي قابلته في المصعد .

"حين تغادر أمي غدا، من المحتمل أنه سوف يغير منضدة التزيين إلى مكتبة" .

من الصعب علينا أن نستخدم طاولة العشاء في المساء مع بعض. وقالت: "هو لحد ما غير مرتب، وعينها على قميص من دون أكمام مرمي على الأرض".

تذكرني عمر الصغير وأنا مبتسمة، عمر في الخرطوم وليس عمر في لندن.

حين تغادر لمياء إلى الجامعة أقضي زمناطويلاً في المطبخ، أغسل الأطباق وبعد ذلك أقوم بكي الملابس وترتيبها. الدكتورة زينب ومي يمكثان في الصالون إلى الساعة الحادية عشرة. وقالت: "أوه قمتين بكي الكثير من الملابس، جيد جدًا". وحين نظرت على الملابس المكوية المعلقة على كل كراسي المطبخ اذهبي وأحضري شماعات من الدولاب،إلاً عليك بتعليقهم فوق على الدولاب ورجعت ما بين غرفة النوم والمطبخ وببعض من الغضب، وضعت جميع الملابس في دواليبها الصحيحة، من السهل أن تتعرف على الملابس سأخبركم أين هي ملابس تامر أين هي ملابس لمياء وملابس الدكتورة زينب، لكن أقمصة الرجال اربكتني، تيقنت أن البعض ينتمي لزوج لمياء لذلك احتاج أن أذهب إلى غرفتها، والبعض الآخر ينتمي إلى تامر وأيضا احتاج أن أذهب إلى غرفته. وقليل من الأقمصة تنتمي إلى الأب الذي لا وجود له في لندن لعدة اشهر.

بالتأكيد أن كومة المكواة قد خلصت .

الدكتورة زينب بينت لي أين توضع الملابس الرطبة من المنشفة لتعليقهم فوق الدولاب، وهذا خارج غرفتيها أمام الحمام .وهي تقف أمام الدولاب وقامت بفتحه علىً مصراعيه وبدأت بسحب الملابس إلى الخارج، وفي حينها جلست على الأرض بأسرع ما يمكنني قمت بطيهم، وفرزتهم من الكومة .سقطوا من حولي كأنها تسحبهم

واحدة تلوى الأخرى، مي تبعت جدتها بعد ذلك .وهي أفسدت كومة الملابس التي طويتها، ابتسمت لها وقمت بأخذ الملابس جانبا من طريقها .الدكتورة زينب وبختها لكن أعلم جيدًا أنها تعترض أي شيء يفعله صغير السن .أعلم من التجربة أن المخدمين لا يحبذون توبيخ أطفالهم، لا يهم ما هو الضرر الذي فعله الطفل .استمريت على ابتسامتي وطي الملابس.

فقلت: "أنظري مي وهكذا ما تفعلينه ؛فأخبرتها كيف تطوي القميص ذا الأكمام القصيرة ."

فقالت: بالحاح " تا ـ ما ،تاـ ما، فوضعت القميص على السجادة .

قالت جدتها: نعم هذا قميص تامر،أنت بنت ذكية ولمن هذا؟

فقالت: ماـ واج ماـ واج. فوجدت معطفها الأحمر مطبوع علية صورة دب في الأمام .

"والآن هذه الكومة التي تحتاج للمكواة ذهبت إلى المطبخ . دعيها هنا لكن اليوم كويتي ما فيه الكفاية، أتركي الباقي للغد .وهي ذكرت بأن أعود إلى المطبخ .

"أنه زمن قهوتي "بالطريقة التي أتحرك لتحضيرها لها، لكن بالطبع هي أشعلت النار على أبريق القهوة وسكبت بعض من النسكافيه في الكوب. والآن حان وقت الغفوة لمي، أعطيتها عصيرا وأخذتها إلى الفراش، وهي غالبا ما تنوم ساعة ونصف وبعض الأحيأن ساعتين، بينما هي نائمة يجب عليك أن تقومي بفعل الطبخ .لاحقا هي تواجه بعض المشكلات عند الصباح وتحتاجين للوقت، وأيضا عند الظهيرة إذا كان الطقس جيدا، يجب عليك أن تأخذيها إلى الحديقة في الخارج. وهي تستمتع باللعب على الأرجوحة وبرؤية أطفال آخرين.

فقالت: ما الذي تستطيعين طبخه؟ وهي ذكرت اسم ابنها باعتزاز ومحبة ،تامر يحب المكرونة.

نحن الثلاثة ذهبنا إلى الحديقة، عند منتصف النهار، جدتها الدكتورة زينب ترتدي معطفا أسودا وأحمرا شفافا لامعا، مثل ألوان الخريف الرائعة. ومي متحزمة على

كرسيها الذي يدفع باليد .فكرت بأن الحديقة المقصود بها حديقة "ريجنت" وبعدها سنمر بأرضية كبيرة باللافتات على طريق جورج لبيع التنانين، ومرورًا بالمسجد، وتتجه شمالا على حديقة "ريجنت"، ولكن الدكتورة زينب تعني بالحديقة الصغيرة بعد مقطع الشارع .هذه أيضا لديها أطفال يلعبون على الأرض ،لكنها هادئة، وأكثر أريحية ونحن ذهبنا تحت الأشجار الصغيرة التي تحجب رؤيتها من خلال نافذة الشرفة .إن هنالك بعض الشيء من الرياح لكنها ليست باردة .الشمس في الصباح الباكر تعطي الطريق عظمته ،لكن لازالت الأوراق الخريفية على الأرض يابسة ومطحونة. حاولت أن أصنع ملابسا لمي لأفوز بثقتها، بسبب وجود جدتها يصعب ذلك ترافقها حتى مي لا تحب أن أدفع كرسيها.الدكتورة زينب تدفعها وأنا مستمرة بشعور الربكة والقلق الذي يأتي في الصباح، ورؤيتها للمياء ،تكون لست جيدة مع مي ." هل أسرتك هنا أم في السودان ؟ "

" لدي أخ هنا، أحاول أن أجعل صوتي ،طبيعيا ".

بالأمس تلقيت طلب زيارةمن عمر .يسمح له بكتابة الرسائل لكن نادرًا ما يكتبها لي .

هل لديك أطفال؟

"لا أنا غير متزوجة "

"كنت تسكنين في الخرطوم ؟"

"نعم في الخرطوم "

قالت: "لمياء والدها في الخرطوم وهو سوداني".

"حقًا "قلبي بدا يخفق كما يفعل دائمًا أينما تيقنت من قبل شخص ما معرفة من أنا ،وماذا كنت، وما الذي جئت من أجله .

كم من المرات وأنا أكذب أقول إريترية أو صومالية .

وهي مستمرة، أطفالي سودانيين في أسمائهم فقط، ولا يتذكرون السودان ،قضينا سنوات في عمان ـ وللتو ابني تامر هناك، والآن نحن في القاهرة .هل تعودين إلى

السودان في العطلات؟ زوجي ليس لديه أخ ولا أخت، ولربما لذلك نحن لا نذهب إلى السودان كثيرا، كلماتها أعطتني الدافع، هنالك صلة للسودان سريعة الزوال ،حتى أن ذكرته اسم العائلة، قد لا يعرفونه ،ولربما لا يتذكرون اسم أبي .

الآن شعرت أني صغيرةقليلاً ما فعلته ،ما الأمر، فصعقتني. مع من كنت تعملين من قبل أن تعملي معنا؟ وهي توقفت عن السير وبصمت أعطتني الكرسي لأدفعه .

لأن السير بجانبها أحبطني شعرت بالعظمة وحينها تدفع الكرسي وأنا أحرك ذراعي

على أن مي حساسة فنظرت إلى الخلف فرأتني بدأت تتشبث بالكرسي. أخذت الدكتورة زينب مقبض الكرسي مرة ثأنية "ذهبت مع بنت لبنانية وهي تسكن بالقرب من محطة الكوخ السويسرية للقطار، لديها طفلين، كانت الزوجة الثانية لرجل أعمال سعودي، يسكن مع أسرته الأولى في الرياض". هو أتى للزيارات ثم كانت تحتاج لي كثيرًا في ذلك الحين. نادراً ما يترفهون أو يخرجون في المساء وتترك أطفالها معي. أخيرًا زوجها أعطاها سريلانكي صنع في المملكة العربية السعودية .

ابتسم الزوجان المسنان وتوقفوا لإعجابهم بمي، ونظرت من خلف الحديقة ورأيت بين الأشجارمستشفى وليج تون البشرية . لم أكن رأيتها من قبل من هذه الزاوية تبدو غير مألوفة لي ومكثت عدة أسابيع مع أمي هنا، تذكرت لون السجاد، ريموت التلفزيون على يدي والطريقة التي علق بها التلفزيون على الحائط .

إذا أخبرت الدكتورة زينب أن والدتي انتقلت إلى جوار ربها في هذا المستشفى باهظ الثمن هل يمكنها تصديق تلك الرسائل التي تأتي من حفيدتها ناني الجديدة.

بالقرب من ملعب الأطفال رأت مي المرجيحة وشعرت بالسعادة، فأشارت وثرثرت أرادت أن تخرج من كرسيها، لم أقم بوضع حزام التثبيت يمكنني أخذك إلى المرجيحة يا مي هل استطيع؟ أصدرت صوتا بيأس وانحنيت بالقرب من كرسيها أحاول أن أعير انتباهها. الدكتورة زينب قالت سأذهب إلى العمل ونجوى تأخذك إلى المرجيحة موافقة؟ نجحت الخطة، الكرسي المتحرك وضع بالقرب من المقعد، الدكتورة زينب لم تسر في عجالة ومي أمرتني بوضعها على المرجيحة وأقوم

بدفعها. قريبا ما سيكون لدينا زمن للمرح. المطر قادنا نحن الثلاث بالعودة إلى المنزل. الشقة دافئة وبرسومات الستائر، الإنارة في غرفة الجلوس يانعة.

قرأت القصة لمي حين إذاً الدكتورة زينب ذهبت إلى غرفتها لتوضيبها. لكن أن تركيز مي محدود وهي أرادت أن تخرج خارج الغرفة لجدتها. فنشبت حربا بيننا أردت أن تمكث معي لأكبر فترة داخل الغرفة وهي تريد المغادرة. "جربت التلفزيون جعلتها تصدق اللعب بدمية الدب ودمية الروج رت". فتناولتها لكن كل هذه الأشياء لم تجدِ لفترة وجيزة. فهي سرعان ما تغضب.

صوت تحول المفتاح في القفل يدل على أن لمياء عادت للمنزل قليلاً ما تحبس أنفاسها، ومعطفها عليه قطرات المطر ،لكن البهجة تغمر أعينها.

فجأة هي تقبل ابنتها وتضمها على صدرها، وعلى يدها اليسرى قارب يلف من حوله. مي مبتسمة الآن ولمياء أكثر نشاطاً من الضجيج. فسألتني عددا من الأسئلة، وهي تتفقد الوجبة الغذائية التي طبختها. فرفعت غطاء القدر الصغير، تبدو أنها منبهرة، أحبت ميزتها الضخمة، وبهذا كيف تشعر المرأة المقتدرة، التي أنهت عملها حين عودتها إلى المنزل لطفلها الصغير.

أنا مدينة لنفسي أن يغيب الحسد، أنا مدينة لنفسي أن يكون قلبي خاليًا من الحقد.

الفصل العاشر

يوم الإثنين لدىَّ حصة تجويد للقرآن الكريم في المسجد، وبالتالي بدلا من أذهب إلى المنزل أذهب إلى المطعم الإسلامي في الناحية الثأنية من طريق المسجد لتناول وجبة الغداء هناك. وهنالك مذاق الدول والخبز الإغريقي الدافئ. الاماكن الجديدة أفراده دائما ما يتعبونني.

أحدث نفسي يا له من عمل جيد، أم أجد تغيرا للأشياء وليكن العمل كثيرًا.

كما يبدو أنهم أناس طيبون، ستغادر الدكتورة زينب يوم غد إلى القاهرة سوف اتحكم كثيرا بمي.

وأكون لوحدي وبعد ذلك لم أرهق نفسي كثيرًا. آكل بعجالة لاستطيع أن أصل إلى المسجد واضطجع قليلاً قبل أن يبدأ الدرس .أود أن اتمدد للخارج، منطقة السيدات خالية حينما حضرت، لاتفاجأ بذلك وقريبا ما يأتون للدرس، وكثير من الأخوات يرافقهن أزواجهن ويحضرن صلاة العشاء .فتحت الإنارة وصليت ركعتين تحية المسجد. وبعد ذلك طويت معطفي كالوسادة فتمددت قليلاً ما تألمني أرجلي، وظهري يتألم لكن هذا ليس سيئا .لفيت بكاحلي، ومددت الأصابع ولويتهم .الحمد لله أنه عمل جيد .أخبر نفسي والذين أخذهم العمر لتكملة برنامج الدكتوراة ،وبهذا العمل استمر معه عدة سنين إن شاء الله .

أستطيع أن أشتم رائحة المسجد الزكية وأغمضت أعيني، إرهقت من السجاد والسترة. غفوت وفي حلمي عودة صغيرة إلى الخرطوم. مريضة وخائفة، أحتاج إلى ملايات نظيفة وناعمة، غرفة هادئة لارتاج فيها احتاج إلى غرفة والدتي ،أود أن انهض وأذهب إلى غرفة والدتي .صوت للرجال وكحة رعدية آتية من الأسفل .استيقظ والكحة ذكرتني أبي والحلم في غرفة والدتي ،اليوم لا أريد أن أكون غير محصنة، الإرهاق فعل بي ذلك ،وتوقفت تماما وارتحت لرؤية شاهيناز داخلة وتحمل طفلها، ويحيطون بها أطفالها الثلاثة .

نهضت لأعانقها وانحني حتى أقبل أطفالها وأساعدهم لخلع سترتهم .جلست البنت الكبيرة بالبعد عنا تلعب بالمحمول .وفر الولدان على أرضية المسجد فسألت شاهيناز هل نحن لوحدنا ؟ وعيونها دائرية وبارقة اللون الأسود .أعطتني طفلها .لتخلع معطفها ،وتحته ترتدي سترة ذات اللون الأخضر ." بدأت تستعيدين شخصيتك " .لازال وجهها بدين من فترة الحمل، ولازالت بطنها منتفخة لكنها كل أسبوع وهي تنحف، أكثر فأكثر كشخصيتها القديمة .جذبتني نوع السترة التي ترتديها عكس بطنها

فقلت: "ليس بعد" أنه أخذكثيرًا من الزمن وهي جالسة بالقرب مني خالفة رجليها ،وظهورنا في الاتجاه المعاكس للحائط .

سأخلع سترة أحمد المكان دافئ هنا .أفتح سترة الأطفال .

فقالت :"يجب لي أن أحضر كرسيه "لا تقلقي سأحمله عنك ،وضعته جانبا على ركبتي .أنه لطيف جدًا سريع النوم واصبعه على عكس خده، كأنه جادي وفي تفكير عميق .دفعت بالغطاء من على رأسه ،وشعره مصفف، لكنه نبت كثيفا مجددًا ،مستقيم وأسود اللون .مررت أصابعي عليه ،فقلت له: " حبيبي يا أحمد شعرت أني أعرفه ".أعرفه منذ شاهيناز حامل به ،ورأيته في المستشفى يوم ميلاده .أسبوعيًا أراه يتغير

شاهيناز قالت: "ياحبيبي وهي تفتش شنطتها ". أنتم العرب دائما تفعلون هذا.

فقالت: أنظري. أم الوليد أتت ،فقالت أكثر مني. أم الوليد أستاذة سورية كل واحد حبيب أو حبيبها ،حتى أنها تقول للرسول صلى الله عليه وسلم ." ياحبيبي يا رسول الله بطريقة نابعة من القلب ".

أشتم رائحة حريق أليس صحيحا؟ شاهيناز شمت كم سترتها .أحرقتها ولم يكن لي زمن لتغييرها .لا ليس كذلك، أنت تخيلتها .فأنبهرت بطفلها حملت يده فقبضت تجاعيد شعره بأصابعي .أنه في نوم عميق .وشعره ينمو .أنا أعلم حقا نحن لم نحلق شعره جيدًا على أن أحلقه بماكينة حلاقة الشعر. الآن أم الوليد في عجالة مع أطفالها التوأم، دائما ما تكون مرعوبة، لماذا لا اعلم؟ توقفت وتوقعتها لتجلب أي أخبار مأساوية كما تبدو الإثارة التي تأتي بها أو لربما حياة العنف المنزلي التي لا أعلم شيء عنها .ابنتاها التوأم نظيفتان ومظهرهما جميل، شعرهم البني مصفف بطريقة أنيقة .فتذكرت كيفية التعامل معهما .أنتم الاثنين فقط للدرس ـ أين البقية ؟ ما الذي يمكنني فعله ؟ ماذا حل بهم ؟ أم الوليد، نظرت نظرة ثاقبة، علينا الاثنين كأننا غائبان بطريقة أخرى من أخطائنا.

شاهيناز تموج أعينها. وهززت بكتفيها لازال الزمن مبكرًا.أنه ليس كذلك هذا هو الزمن وأنا مسرعة افتكرت أني تأخرت فبدأت بإخراج كتبها وكراساتها، فجأة خمس

من البنات الصغار يتحولن إلى الداخل ." ما شاء الله " شعاع أم الوليد تحول افتكرتكم لم تحضرن .بعض من الدقائق القادمات لتكن أكثر إقبالا للضحك ،وصراخ الإعجاب لطفل شاهيناز .أخذته من ذراعي ومرة حولهم أحد الفتيات الصغار ما زالت تحمل مفتاح سيارتها ،فقالت عنه شيء " مرري الحزمة " وضحكن .وتعليق آخر أم الوليد على الطريقة الجديدة التي تربط بها طرحتها .

الأستاذةدائمًا تبدأ بالشرح وهي لا تربط طرحتها. تطوى دائرية من المألوف إلى مثلث لكن حين تضعيها على رأسك تتركين طرفا واحدا أطول من الآخر ،رأيتن دبوسها تحت ذقنها، وبعدها تأخذين الجزء الأطول ـ وتحمليه هكذا تحت الدبوس وتتركينه على جأنب فوق الدبوس وتدخلينه تحت الأذن .

أهذا سهل؟ ." قالت أم الوليد: المرأة التي تنتمي إلى حزب الله تربط طرحتها هكذا "رأيتهم على القمر الصناعي .

قالت الآنسة الأبعد "ممتاز". خدها الباسم وعيونها النعسانة، أحب الطريقة التي ترتدي بها حجابها، الثقة التي تمتلكها فيها نوع من الانجذاب القيم الخفي.

غالبًا الفتيات المسلمات الصغار اللاتي ولدن ونشأن في بريطانيا احترت في أمرهن من خلال إعجابي بهن دائمًا اجد نفسي أفهمهن .اكتشفوا أني بريطانية حقا وكثيرًا ما عند المنزل في لندن، البعض منهن يرتدي الحجاب والأخريات لا يرتدين .لديهم شخصية منفردة وتحفها الصراحة .حين كنت في أعمارهن لم أفعل ذلك .لكن يفتقرن للقوة والفتنة التي نحن بنات الخرطوم نمتلكها .

تركت الجميع وذهبت للأسفل إلى الحمام ،احتاج تجديد الوضوء. جالسة على الصف الخشبي للوضايات الأرجل مقابل الحنفية، هنالك القليل من النساء لم اجتمع معهن من قبل، .يبدو أنهن ماليزيات، لكن إحداهما تبدو أنها سودانية.تذكرني بآنسة أعرفها في جامعة الخرطوم .البنت لم تكن من صديقاتي المقربين، لكن لطيفة بمعرفتها الشخصية .فحييت إحداهن، كأننا تقابلنا بعضنا البعض من خلال المحاضرات .كانت فاتنة بوجنتها. لا أعلم كم أحب أبي لو أخبرته بحبي للجامعة التي أختارها لي .لا اعتقد أني اتحدث عليه كثيرًا .أعلم أنهلا يفكر كثيرًا عني ،ليس أنه لم يحبني لكن لسبب أني

كنت بنت وعلى مسؤولية أمي .كان والدي يفضل خطط معينة لمستقبل عمر بينما كنت اتزوج من شخص كيف اتبعه لآخر حياتي ،أنا سعيدة يا بابا .أن عشت لترى ماذا حدث لعمر وحتى أنا. هنالك صوت اندفاع للماء تيقنت أني لوحدي في مكان الوضوء .بدأت أبلل رجلي مواجهة تدفق الحنفية .أغلقت الحنفية ولم اجد أي منديل في الحمام لاتجفف نفسي .ذهبت إلى الأعلى وتاركة أثر أقدامي الرطبة على السجاد .بالطبع الدرس بدأ.

كل واحد جالس على دائرة كبيرة .أم الوليد جالسة على ركبتيها، لتكن أكثر علوا من الآخرين، صوتها واضح وعالٍ .الآن تبدو شخصا ما، شخصا ما يحب أستاذه، بالتحديد كل شيء تقوله، صارم في نقاطه .فتحت القرآن الكريم على ركبتها "حجرها "، جذبت بطرحتها إلى جبهتها، ودفعت إلى الخلف ضفيرة الشعر التي خرجت .وهي على ما يرام أو متلائمة لا تبدو أنها منزعجة كثيرًا .أخذت نسخة القرآن الكريم من الرف، شاهيناز انتظمت جانبا لتفسح لي مجلسا .وهي ترضع أحمد من ثديها، وبيدها الأخرى تساعدني لأجد الصفحة الصحيحة، أشارت للآية التي أم الوليد الآن تناقشها، أو تشرحها .درس التجويد مفضل بالنسبة لي ودرست كيفية النطق الصحيح للحرف، حين دمج حرفين مع بعضهما، حين النطق بالنون عن طريق الأنف، وكم من دعمها لا أطالت عدد الحرف .وأسلوب هذا التركيز يخفف آلامي، ليجعلني أنسى كل شيء من حولي. أم الوليد أستاذة مؤهلة، بدرجة علمية في القانون والشريعة الإسلامية .كثيرًا من الأخوات قالوا: إن دروسها في القانون والتاريخ أكثر متعة. وينشأن الكثير من المناقشات وبالتحديد الأخوات البريطانيات الصغار اللاتي ولدن لوحدهن ويتحولن للنقاش ليدلين بآرائهن الشخصية .لكن كنت خاوية الذهن ومقسمة إلى أجزاء في النقاشات، لا أعلم أي نقطة من الآراء في النقاشات ادعمها .ووجت نفسي متفقة مع كل من تحدث أو مع أحدهم في حب الأفضل .توقفنا من أن شخصا ما يتأذى مشاعره أو يأخذها إهانة للأسوأ وهو بجديه. كمحادث في ذات المرات. وتوقف أن يأتي إلى المسجد .في دروس التجويد الكل في هدوء وسلام تام. نحن نمارس ونمارس حتى نستطيع نطق الكلمات الصحيح. أود أن أقرأ القرآن الكريم بطريقة جميلة. تجدد الطاقة بعد الدرس .طفل شاهيناز استيقظ وحملته دعمته بيدي على رأسه

،تحدثه عليه فحرك رأسه وهو مبتسم. كافأني برعشة غير متزنة من شفاه ؛يبلغ من العمر ستة أسابيع فقط صغيرا جدًا ليبتسم .شاهيناز تحمله حين الكل يصلون العشاء، تضعه تحت على الأرض كلما انحنت للأسفل فإذا هي تحمله للعلا مرة أخرى. وقفت بجأنبها وادركت في منتصف الصلاة لا اعلم من هو بجانبي من الناحية الأخرى، ذراع من تلامس ذراعي الأيمن وسترة من تلامس سترتي. رجعت ذاكرتي فركزت. خارج المسجد، الهواء الليل بارد ومتموج. شاهيناز اقترحت لي أن أغادر"تتأخرين للذهاب إلى المنزل لوحدك" هززتُ برأسي علاما اعتقد في سيارتهم، شاهيناز وزوجها في الأمام، أحمد على مقعد الأطفال في الخلف، إضافة لثلاثة أطفال سيكون هنالك قمع."أنا لستعلىً طريقكم". هي اعترضت لكن الأطفال نبهاها، تركتهم وذهبت إلى محطة البص .تسير السيارات في عجالة، نسبة أن الطرق خالية، سيارات الأجرة يقفن على إشارات المرور بصوت الصفير المنفرد كما تصدره سيارات الأجرة في لندن. أول بص أجده من الطراز القديم وبابه مفتوح دائما معه كمساري (قاطع التذاكر). إنه عبوس الوجه، لكن شعرت بالأمأن بوجوده وبالمعرفة التي اتحصل عليها عند إشارات المرور اذا احتجت .البص الثأني ليس لديه متحصل أخبرت السائق بإذن الدخول والباب أغلق من خلفي، شعرت أني مخنوقة واقعة في فخ، في المحطة القادمة ثلاثة شباب يترنحون إلى الداخل، عرفتهم من لمحة فقط أنهم غير موثوق بهم وغير مضرين، وبدأت أردد قائلة: "أعوذ بالله من الفجور" قلتها عدة مرات، كأنهم ذهبوا إلى المقعد الأخير للبص .أحدهم نظر لي وقال شيء للآخرين. ونظرت إلى الخارج من خلال النافذة. وحدثت نفسي بأن الله سيحميني، إذا حتى لو هم أذوني لا أشعر أنها سيئة للغاية، سيكون اغلظ التحذير بالنفخ، ضحكوا من خلفي .هنالك شيء ارتطم بحافة المقعد وتردى على الممشى، لا أعلم ما هوالشيء، أنه فقد هدفها في هذا الوقت، أرادوا أن يتحركوا بالقرب مني. وماذا لو خلصت أشياؤهم والقوها؟ نظرت للأعلى على وجهة سائق البص في المرآة .أعينه ترمش وهو ينظر للخارج .ونظرت خارج البص أيضا لكن ينظر عادة لي، من الأفضل أن أنظر للأسفلعلىً حذائي .في سكون الليل حركة المرور للبص تكون مسرعة، ولا أحب أن يكون المشوار طويلا. هنالك أكثر من محطتين. سمعت بالخطوات تجول حولي، نظرت على البقع في القماش القطني فقال: "أنتِ مسلمة

حثالة المجتمع" ثم سكب بمحلول بارد على رأسي ووجهي، شهقت وتذوقت، أنه (مشروب التيزر) فعاد إلى أصدقائه، وهم يضحكون، فصدري يؤلمني وعيني تدمع. توقف البص وفتح الباب، هنالك زوجين ذاهبان أسفل إلى السلم يتجهان للمخرج .قررت أنا صامتة ولحقت بهم إلى خارج البص .الرياح ضربت بطرحتي المبتلة، وجعلت فروة رأسي تشعرني بالبرد. استخدمت الحافة الجافة من الطرحة لأمسح بها وجهي.تنفست من الأعماق شهيقا وزفيرًا، لأبعد مني الغضب لأجعله يخرج من خلال أنفي. خدي لزج، عضضت بشفتي وجدت طعمها حلو، أنها لم تكن بيرة لكن أنا كنت محظوظة. رمشت وهذا ليس مريح الآن رموشي للتو التصقت مع بعض. لا أعلم أن رموشي تؤلمني. فسرت إلى آخر طريق المنزل أفكر في رموشي، وبهذا يجب لي غسل شعري، لا أريد غسله في الليل، لأن مجففة الشعر لا تعمل كثيرًا وألا أنلم جيدًا بالشعر المبلول، أن رطوبته وتمدده على الوسادة تغضبني.

الفصل الحادي عشر

يومي الثاني في العمل وتقريبًا وصلت متأخرة. وصلت باب الشقة بالفعل أجد لمياء في طريقها إلى الخارج. وأيضًا الدكتورة زينب، أسرعت في أرتدائها للعبائة، هنالك بقع لامعة تحت أضواء الصالة .لمياء تركت بعض من الشعر خارج سترتها، أنحنت لتحمل شمسيتها. وقفت خارج ممر الباب، انتظرتها لتخرج إذ لا استطيع أن أدخل، لديها نفس العيون النعسانة وحركتها البطيئة تذكرت الصباح من الأمس. عيونها

تحدق لي من غيرأي تعبير. يجب أن تكون كذلك وهي شخصية مسائية ليست على ما يرام وهي في الصبح، تقبل والدتها وتضمها على صدرها، فتحك ظهر أمها بطريقة لطيفة. تذكرت أن الدكتورة زينب تغادر إلى القاهرة بعد الظهر. لمياء قالت: "حين تامر يأخذك إلى المطار، لا تنسين أن ترفقين معه طاقم المفاتيح "حسنا، لكي لا يفقد محاضراته، استطيع أن أذهب بطريقتي. لمياء هزت بذراعها فقالت: "لا تنسى لتخبري سيارة الأجرة مبكرا" فقبلت والدتها مرة ثأنية وبعد ذلك دفعتني بقوة ـ وقفت الدكتورة زينب لعدة دقائق. تنظر إلى بنتها وهي تسير على المصعد للأسفل .تبدو لحظة الوداع جعلتها مقهورة ومطاوعة .فقالت :أدخلي نجوى ورجعت إلى غرفة الجلوس وهي تجر برجليها .أغلقت باب الشقة من خلفي .خلعت حذائي ووضعته جانبًا بالقرب من الباب، طويت سترتي وضعتها فوق حذائي. فبدأ اليوم من غير واجبات كثيرة كيوم الأمس. المهمات أكثرها مألوفة. ذكرتني مي بطريقة فنية، ابتسمت ومثلت كالمهرج لها. عملي سيكون سهلا متى ما نلت ثقتها .تحدثت إليها عن الذهاب للحديقة .فذكرتها كيف كان بالأمس دفعتها بالمرجيحة .وهي لاتزال على بجامتها وقمت بتغييرها .أخذتها إلى الحمام وتملقت لها لتنظيف أسنانها .اكتشفت أنها ليست كالأمس .لمياء لم تقدم لها أي وجبة إفطار. سكبت اللبن الدافئ على الويتابيكس ورششت القليل من السكر .الويتابيكس لين يميل إلى عجينة ناعمة .وغرفت ملعقة شاي واحدة تلي الأخرى إلى فمها .وهي تشرب اللبن بنفسها من خلال كوب مخصص لها. أطباق وجبة الغداء من الأمس مكومة عالية على المغسلة لا أحد انزعج ليغسلها. لو على الأقل أنهم يغسلونها لتكن مساعدة، بدلا من أن بقايا الطعام متجمدة وملتصقة على الأطباق. أجريت عليهم الماء الساخن لزمن طويل، حتى أصبحوا غير ذلك. استمتع أن أكون في منزل أفضل من تنظيف المكاتب والفنادق. أحب أن أكون جزءا من أسرة، اتفقد أشياءهم، وأعلم ما الذي يأكلونه والذي يرمونه في سلة المهملات .أعرفهم بطريقة حميمية وحتى أن صعبت معرفتي لهم، كأني أنا مخيفة ،ماذا لو يتحدثون معي بدهشة ،هذه طبيعتي في دوري للخدمة .في يومي الأول كما فعلت . "حينها تعاملت مع السيدة أيفا لا أشعر أني أعمل معها ." استخدمه لتكون هنالك علاقات. لأعرف الكثير عنهم ـ تعاقبنا الخدم الإثيوبيين، خدم المنازل والبساتين ـ لكن يجب لي أن أكون بالقرب منهم لاستوعب طريقتهم سنين قادمات أو

بمحتوى آخر،إلاً الآن أنا واحدة منهم .تذكرت الخادمة الإثيوبية التي حدثتني عن أصدقائها يدعونها باسم دونا سامر لأنها تشبهه .فضحكت حين بدأت أناديها بدونا أيضا. دونا وضعت صفار البيضعلىً شعرها، والجزء الأبيض على وجهها. دلكت وجهها بمنتج من المواد البترولية يسمى"بي بيجلي". وارتدت أسكيرت قصيرة من قماش الكلدراوي وردي اللون في يوم خروجها .كانت لاجئة للسودان. أنها ستتحدث عن إثيوبيا، عن برودة الطقس في الجبال والأمطار والمدارس الجيدة التي يمتلكونها في بلادهم.

فقالت: ستذهب مع صديقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحين وصولها إلى هنالك. تهرب منه في المطار، فسألتها، ولماذا تفعلين ذلك؟ فقالت: إنه لم يكن مؤهلا، لم يكن حتى ميكانيكيا.

فقالت: إنه فقط يقوم بغسل الزجاج في محل لإعداد العصير، كانت فكاهية مع التألق الجمالي بتحريك أردافها في المطبخ.

دائما ما ترتدي قلادة تميل إلى السمرة والصليب لامعا ما بين عظام ترقوتها.

يوما ما كانت مريضة، قمنا بزيارتها أنا وماما، كان منزلها بائس ومصنوع من الطين، واسع وممتد، غالبا ما يكون مشترك وممتلئ بالرجال والنساء جميعهم لاجئين إثيوبيين صغار السن.

نحن لا ندري إذا كانوا أقرباءها أم لا، كانت دونا محمومة ومضجعة على سرير واطي وصغير.

لا أدري إذا كانت هي سعيدة برؤيتنا أم لا. عندما شفيت، سرقت مانيل الشانبيل رقم خمسة، بيجامة وزوجين من الصندل، مانيل لم تنذر أبدا. نحن لم نكن نراها مرة أخرى. ماما استدعت الشرطة لكن لم تخبرهم أين تقيم -أنهاتحبها كثيرًا - تشعر بجرح مشاعرها. وحتى هي أخفت السرقة عن بابا. امتلكنا خادمة إثيوبية أخرى - كسولة وغير ثرثارة ،أنها لا تأخذ طابع التباهي في مظهرها أو شخصيتها. أود أن أفكر أن دونا ذهبت للولايات المتحدة، لصنع حياة أفضل تشعر أنها تستحقها اتمنى

أن اجتمع معها الآن، وأعانقها بقفازي المنهار الذي ارتديته بسبب حبي لها، اتباهى بنفسي لاحتفظ بنعومة يدي. أريد أن اخبرها "انظري ماذا حدث؟، أغسل الأطباق كما فعلت وسوف نضحك مع بعض".

الدكتورة زينب قالت: "هذا هو زمن قهوتي، كما أنها توضع الغلاية على النار، غرفت نسكافيه على كوبها، علمت الآن وتوقعت أن استمر في المكواة - ضغط على الزر فخرج البخار من دهائي أن المكواة حول هذا الزر".

مسحت أرضية المطبخ أخذت بفرخة من الثلاجة في ليلة الأمس ثم تحتاج لبعض من الوقت لتذوب. كيف تستطيعين الطبخ بطريقة أخرى؟ أخبرت لمياء، عليها أن تتذكر في كل ليلة قبل أن تذهب إلى النوم لتخرج اللحمة أو الفراخ لطبخها في اليوم التالي، اتمنى أن تتذكر ذلك، فهمست "إن شاء الله".

أبنائي يترعرعون في عمانودائمًا ما يكون لدينا خادمة، فأصبحوا مدللين فلا يعتنون بأنفسهم. تامر لا يستطيع حتى يصنع كوب شاي لنفسه، فلا بأس به أن تناول وجبة في الخارج، دونالد في كليته، لكن هذه الوجبات حلالودائمًا ما يكون حريصًا على ذلك. سيأكل الوجبات الحلال فقط، لا أدري من أين أتى بهذا الورع، لا أحد منا يراقب مثله، لا أدري ماذا نسمي هذا - ثم استمريت في كي الملابس، على كل حال الحمد لله.

فقلت: إنها فكرة جيدة فسألت عنك داخل المسجد. فسكبت القليل من الماء الساخنعلىً كوب قهوتها. سأبقى معهم لأطول فترة لكن اود الرجوع إلى البلاد. أتيت أن احملهم إلى الداخل ويبدو أنها حلت الآن. تامر لا يحب أن يتواجد هنا في بداية الأمر لكن والده يريده أن يدرس في نفس المجال الذي درس به في انجلترا. وقريبا أن تامرأنهى الدراسة السنة الأخيرة في مدرسته، والده قدم له طلبا أن يحضر إلى هنا .فتملقت وداعبتها أنها تكذب لي: تمسكت على أي كلمة قالتها مستخدمة نبرتها المصرية. أنا وماما كنا نشاهد تملق المصريين يومياـ حتى لو كنا في زيارة خارج المنزل سوف نسأل المضيف لوسمحت أن تشغل التلفاز.

أول مرة أضع مي لتنام تحت وهذا نوع من التحدي .اتبعت توجيهات الدكتورة زينب ـ من الطقوس تحملها إلى المطبخ. سكبت السكر الخالي من ريبينا على كوبها المفضل، وأضفت مياه "أفين"، فتعجبت لا أحد في الأسرة يشرب ماء الحنفية ." ثم حملت مي إلى غرفة النوم .أغلقت الستائر أجلستهاعلى سريرها، أعطيتها الكوب لترشفه .جلست على الأرض بالقرب منها فنهضت في عجالة وقفت على سريرها، على مدى معين .أنحني تحت مي لتنامي .أخذت الكوب بعيدا منها، أجلسي سأعطيك الكوب فبدأت بالصراخ .ليس لدى أي خيار آخر لأعيد لها كوبها، فزعت من بكائها ليصل إلى غرفة الدكتورة زينب. اجلسي تحت مي مثلي تماما. تمددي على الأرض وأغمضت عيني، في مدة قصيرة اسمعها بلطف تهدهد على سريرها. فتحت أعيني وجدتها نامت ببقية الطعام على أحد حواجز سريرها. تمسكت بالكوب بإحدى يديها وأصابع يديها الأخرى على زرار شربتها تبدو أنها راضية، أعينها يلبينا للنعاس ألا وهي تركت يدها في ناحية أخرى.

متلهفة أغمضت أعيني مرة أخرى، فذكرت نفسي جيدا يجب أن أكون هادئة لكي لا أعكر صفاءها. قريبا اسمعها تتنفس باستمرار.

عانيت تماما إذا تحرك الكوب الفارغ من أصابعها النائمة أو تركه، ولربما تحتاج لرشفة أخرى عند منتصف نومتها .ولكن ستصدم بكوبها عكس حاجز السرير وتستيقظ. آخذة الكوب بسهولة من مقبضه بعيدًا من الخطر لكن أنا في أمان وهي في نوم عميق. الدكتورة زينب، في الظهيرة جالسة على كرسي ذي الذراعين عند غرفة الجلوس في انتظار سيارة الأجرة التي اتصلت عليها، تبدو أنيقة على بدلة بنية، وضعت مكياجا كاملا، وحذاء كعب عالي لامع، فحملت حقيبتين مبكرًا من غرفتها إلى بوابة الشقة .والآن اشعر أنها متوترة وهي تنتظر السيارة، تخشخش الجريدة ـ لتنفذ صبرها. .وبمظهر سترتها الجيد، امتنعت أن تحمل معي .إذ إن دوري أداعب مي، لمنعها من أن جدتها لأتفقد السترة، أنها تمطر في الخارج، ولهذا السبب أنا ومي لم نذهب إلى الحديقة .فحملت مي نحو النافذة لتنظر إلى المطر .الحافة واسعة تماما لتقف عليها .النافذة كونها مغلقة تكون آمنة على الطفل وهوسه .الأشجار في الحديقة أنحنت تحت رطوبة المياه وأوراقها فقدت نضارة اللمعان، من تحتها أناس يحملون

الشمسيات القوية ،حاجب منظف الزجاج في صعود وهبوط، كانت الغرفة مظلمة، الدكتورة زينب فتحت الإنارة، فالهاتف رن وهي استقبلته.

مرحبا صوتها الغليظ وناعم على تامر حبيبي، ما الأمر وأنت متأخر؟ فتوقف بالطبع لا أمانع أخبرته في الصباح لا تحضر، استطيع الذهاب إلى هيثرو بطريقتي ـ أنت لا تصغى لي، جلست على حافة النافذة، ومي على مقعد خشبي ـ وفي حضني نحن أصبحنا أصدقاء الآن.

فصمتت مبتسمة، بالطبع لا أمانع ليس هنالك مشكلة لا إحضار الشنط للأسفل

"أنا سعيدة أنك لم تفقد محاضراتك". سمعت صوت المفتاح على باب الشقة، ففتح الباب، فتى التقيته وهو يسير في الدهليز. استطيع رؤيته تحت على ممر الصالة لكن الدكتورة زينب لا تستطيع رؤيتها. يتحدث على الهاتف وصوته يصل لي همسا. كذلك أمي أنت متأكدة ليس في حاجه لي أن أحضر إلى المنزل؟ أأنت ذاهب في اتجاه السنة الدراسية الرابعة كل هذا لنفسك فقط؟

فسار إلى غرفة الجلوس كما قالت: "الوقت متأخر جدًا لتأتي إلى المنزل.. تامر" جميعهم بدأوا يضحكون، أغلق هاتفه وأدخله في جيبه، توقعت أنه تذكرها، هذه أوسع قليلا ـ عيونه بارزة إنحناء على الأنف ،لكن هذه صفات الوسامة له .وقفت أمه تعانقه، وهي أقصر منه طولا وهو كسول لإظهار العاطفة فضحكا، هنالك قلق لا علاقة لهم ببعض، الإهمال لم يكن ملاحظ بين الأم وابنها.

صرخت مي تا ـ ما تاـ ما التفت عليها، وهو لاحظ لي أول مرة ومرتبك قليلا، وهو كثير الكتمان. نظر إلى الخارج من خلال النافذة. فصنع وجهه إلى والدته، من خلال ما قلته حضرت متأخرا، أذهب إلى غرفتي لكن مي انزلقت من ذراعي ومهرولة له. وهو الآن على ركبتيه، فتح ذراعيه واسعا ورفعها للأعلى، فتغيرت كل الغرفة، قليل من الناس يفعلون ذلك ويدخلون على غرفة ويغيرونها تماما، من خلال النافذة، رأيت سيارة أجرة سوداء اللون تقف جانبا خرج سائق وطرق جرس باب شقتنا. تامر مختفٍ في اتجاه مدخل الهاتف، اتصدمت بلكنته كأنها جزئيا أمريكية. إنه نوع المدرسة التي درس بها في عمان.

فقال: لوالدته، أقوم بأخذ الحقائب للأسفل، وهي ذاهبة إلى الحمام، مسكت بالباب لفتحه له، ركض ليأخذ الأخروى، رفع شنط والدته الاثنين مرة واحدة في نفس الوقت، تقريبا ضحكت على المجهود الذي بذله وهو يزعم أنهم ليسوا بوزن ثقيل. إنه اختفى في اتجاه المصعد لكن أخبرته هنالك ما تبقى هنا. بنظرة خاطفة تشبثه بقليل من ومعطف الابتسامة الهادفة لي ،بصوته المشرق يقف بين الشنطتين، يرتدي جينز أخضر لامع، تبلل بالمطر،أخبرت مي سيعود وهي غاضبة تمامًا. دقيقة واحدة تامر اطلقهاعلى الهواء ـ والدقيقة القادمة الدكتورة زينب وداعا وطبعت قبلة عليها، فترة قصيرة قفز بالمصعد مرة أخرى والآن أصبحت الحقائب على سيارة الأجرة، إنه نفد الصبر على ذهابها، مرتبكة على ممر الباب ومي على ذراعي، مندهشة إذ استطيع أن أتجرأ أقبل الدكتورة زينب عند الوداع فوضعت معطفها برفق .غالبا ما يتردد صعود أو هبوط تعالي إلى الأمام هيا.

قالت: لتامر لمياء أخبرتني أن أعطيك مفاتيحي لكن كيف تستطيع نجوى أن تعود إلى الشقة إذا اصطحبت مي معها إلى الحديقة؟ حين قالت ذلك نظر لي وعاد إلى أمه. إنه تضجر من قولها. وهي تردد طاقم مفاتيحي وضعته في الشقة لنجوى لتستخدمهم حيثما ذهبت ،هذه هي رمت طاقم المفاتيح بقوة على رف بالقرب من باب الشقة، قلادة المفاتيح مسطحة وعليها صورة خضراء اللون لمجموعة شركات هارودز. لا تنسي نجوى لتأخذينها معك إذا خرجتي.

فقلت: اليوم لست في حاجة لها ولا نود الخروج بسبب الأمطار." إن توقف المطر ،الآن هي منزعجة يوم غد وبعد غد إذا لم تأخذي المفتاح معك أنت والبنت ستهجرون بالخارج، تأوه تامر وتقدم إلى المصعد، من الواضح أنهم تضجروا من غبائي.
الدكتورة زينب قالت: بلطف أعتني بالمنزل، سأعود إن شاء الله، وسنكون على اتصال، هذه البنت مسؤوليتك الكبرى، إن شاء الله ستعودين لنا قريبا يا دكتورة، فقلت: أعلم لا أقبلها عند الوداع، وهي تعلم لا تتوقعني أن أفعل ذلك.

ونظرت إليها وهي تسير برشاقة في المصعد إلى الأسفل .حينها احتجبت عني رؤيتها قمت بقفل باب الشقة، أخذت مي إلى النافذة ونظرت إلى تامر والدكتورة زينب صعدا على سيارة الأجرة، نظروا للأعلى ولوحا لنا. تامر سحب زجاج النافذة للأسفل

وابتسم لنا في الأعلى. أجهشت مي بالبكاء ،بصرخة عالية وضعت رجلها على حافة النافذة فقمت بسندها .فقدت التركيز والتوازن معا .أمسكت بها في نفس الوقت ورفعتها مرة أخرى على النافذة .يجب علينا أن ننتظر ـ مي غاضبة وجهي يعبر بالصمت العاجز.

الفصل الثأني عشر

مر القطار من خلال النفق وأضواء الشمس والحشائش خارج المنازل في لندن الآن. في كل حين يتوقف القطار وكثير من الناس يخرجون بشق الأنفس وكل واحد منهم يتناول طعامه. نحن بالقرب من خط النهاية والآن بالقرب من عمر .أخذني بص من المحطة إلى السجن .أنها مجموعة من المباني الطبيعية مبعدة من الطريق وأرضية

وموقف للسيارات مسطحة، هنا دلمً ا. كانت هنالك سجون أخرى مظلمة ومسقوفة. هذا لطف مني تدريجيا في داخل السجن أخبرت أحد الحراس سيرتي الذاتية، واحتفظ بشنطي وأنا على ميعادي، آنفا هنالك مجموعة صغيرة بدأت مع بعض: امرأة شقراء مع طفليها ذي بشرة سوداء، ومختلف الأزواج متوسطة أعمارهم .وامرأة أخرى معها طفلها .أرشدتنا الحارسة لنمر إلى اليسار الزي أزرق غامق موحد. تحدث مع الطفل الصغير فضحكت والدته. وهي مبتهجة تسير إلى الأمام لرؤية زوجها، كما أفعل في كل زيارة، وتملكت شعور الخجل، بشعور الذنب.

واحتيال بلاهة، لكن لا شيء. كل شيء مرتب وطبيعي .تبدو بخير لزيارة سجين بريء في مأوى للمراهقين في داخلية المدرسة .الغرف التي ذهبنا حولها لديها متجر للوجبات الخفيفة على جانب واحد. الطفل الصغير ووالدته اختبئا هنالك على طاولة دائرية محفوفة بمقاعد خشبية لاصقة، ثلاثة مقاعد بيضاء اللون للزوار وأخر أزرق للسجين. جلسنا على مقاعدنا البيضاء ومنتظرين، وقف الحراس منفردين على الأبواب، دقائق قليلة للمحادثة، لكن شعرنا أنها زمن طويل خرجوا منفردين أو كل مجموعة منفردة، وليس بطابور منفرد. لكنهم متحفظون كأنهم أصدقاء حميمين لمشاركة خبراتهم بينهم جميعهم يرتدون فنائل زرقاء باهتة اللون وبناطلين عليها خط. الرجل على هيئة تسريحة طبيعية انسند على كتف ابنته هو وأمها تبادلا القبل هذه أسرة مزعجة حينها نحن والباقين أكثر قمعا. حين رأيت عمر علمت أني قد كبرت في سنيأيضً ا. داهمنا الزمن وعبر بدهشة فقال: "مرحبا نانا، هو الوحيد حول العالم الذي ما زال يستخدم لقبي". تصافحنا مع بعض، هنا كل واحد منا انحنى على ظهرهوأخيرً ا تعانقنا. أكثر من عام كان شعره لطيفا، وخطوط شعره تساقطت غالبا ما يكون أصلع الآن، تذكرت شعره الفاخر، وزيت تقليد مايكل جاكسون حول العالم. يرتدي نظارة الآن -لا تتماشى مع الموضة، قدمتها له خدمة السجن. صحته غير جيدة -إنه مصاب بقرحة المعدة، ومشاكل في الكلى والزكام يأخذ فترة ليتعافى. كبرت منذ أرسلت لي رسالة دعوة أتعلم سأزورك في كل عطلة أسبوعية-أتعلم ذلك؟ تضايقت من أن لا أزورك حتى أن أتقدم بطلب منك .

هز كتفه فقال: "إنه بعيد جدًا لكن لا مانع في ذلك". أنت هنا عدة أسابيع مضت أليس صحيح؟" لا شهرا كاملا". كنت هنا شهرا كاملا؟ يبدو أنه تضجر. ذاكرته لا تستجمع كما يبدو، اعتقد أنه ليس بصحة جيدة. إذا كان اطمأن على، وهو متقدم في النحافة. إذاً ما هي أخبارك؟ هو في قمة الارتياح لي في بداية الزيارة، تضاءلت الأخبار إذ كأني أحبطت كأني لم احضر له ما يحتاجه، أخبرته عن وظيفتي الجديدة. وصفت له طريق جون وود الطريق الذي لديه محلات الملابس باهظة الثمن لأنهم لا يعرضون الأسعار على النوافذ. أخبرته عن الدكتورة زينب، مي ولمياء . وأخيها - فقلت: إنه ورع ويبلغ من العمر تسعة عشر سنة وهذا جيد. لا يدخن، وليس لديه صديقة لا يذهب إلى النادي ولا يشرب الكحول.

لديه لحية ويذهب إلى المسجد يوميا.

يا له من ضعف! لأنه ليس ضعيفا بصوت ملكيته.

عمر هز بكتفه كأنما لا أهمية لهذا الأمر على أي حال.

فقام بتغيير الموضوع، هل لديك أي أخبار عن الخال صلاح؟

تلقيت خطابا منه، وأرسل إليك تحاياه.

كيف هو؟

بحالة جيدة الحمد لله، صار من أكبر سكان مدينة تورانتو. وسامر؟ وتركنا كالبطاطس السخنة، لكنه ليس هو الوحيد يا عمر مندهشة من أصدقائنا القدماء تركونا وتقريبا فقدنا حاسة اللمس كنت أتوقع أكثر من كونه ابن عمي كالكل. وصوته تحسن قليلا قليلا. أولاً مازال سامر في بريطانيا .عمر أرسل إليه دعوة كان سامر ليزوره ولا يرسل اعتذاره مكتوبا.

إضافة لأنه مرتفع جدًا حتى في العهد الدولي مع العراق الآن .أولاده كبروا، فأرسل لي الخال صلاح القليل من الصور .البنت الكبيرة بتشبه ماما كثيرًا أنك لا تصدق ذلك. نحن نسينا الماضي من قبل وفاة ماما وتركنا موسيقى البوب التي نحبها أما اليوم

الفرق الجديدة ليست جيدة .تذكرنا الحفل الموسيقي لبوب مارلي، الذي ذهبنا له في محكمة أريل. وتذكرنا شراء تسجيلات الكاسيت الأخيرة ،وفي المساء بوب يستحبنا لرؤية الفرقة أوليفر الموسيقية على طريق شيافتسيري. هل تذكرت التزحلق على الجليد في شارع الملكة؟ ابتسم عمر .أحب ذلك المكان. كانت هنالك خزنة فونوغراف في الكافتيريا. الخزانة الوحيدة التي رأيتها من قبل، سنضع عليها عشر قطع نقدية وبالضغط على الزر لاختيار الأغنية التي نود السماع إليها. كيف نحن تعلمنا كيفية التزحلق؟ لا اتذكر! فضحكت ـ الأطفال من الخرطوم السخنة إلى لندن في كل صيف ـ يسيرون بالزلاقات الجليدية على حلبات التزلج، على طريقة الملكة كان لهم الحق يكونوا هنا. المال يصنع ذلك. فقال: أود أن أمكث هنا كل السنين، أود أن أمكث في لندن للأبد. ارتحت أنه مسترخي اليوم فتحدث. وبعض الأحيان لا يستريح مزاجه، حتى نهاية الزيارة.

فقلت له: أصابك هذا المرض في آخر العطلة حين كنا عائدين بالطائرة إلى الخرطوم. هذا أنا لا اتذكر؟، هنالك سرورعلى صوته كأنه يعشق من طفولته حب لندن، أنت أصبت بتصلب الرقبة، أنت لا تستطيع تحريك رقبتك.

قالت: ماما كانت مختصة بالتحليل النفسي، فضحك قليلا وبدأ يخبرني عن مكتبة السجن أنه تطور ويقضي معظم أوقاته في قراءة الكتب، وهو يحب الكتب الموسيقية عن البوب والسيرة الذاتية عن نجوم الأفلام .أخبرته يجب عليه قراءة القرآن الكريم، فغضب وقال: إنه من الخطأ أن تقولي هذه الأشياء دينية لا تكون لأي شخص، فقلع نظارته وقام بتنظيفها على حافة قميصه. أحد الحراس التفت عليه وحوله.

بدأت بالتحدث لكنه قاطعني .لا تغضبيني نجوى، هنالك ظل أسود تحت عيونه، أنا لست منزعجة في كل وقت للزيارة تتحدثين عن نفس الشيء، أنت محق. اثنتي عشرة سنة أحاول أن أخبره بنفس الأشياء بطريقة مختلفة، منذ ذلك الحين بدأت الصلاة وارتداء الحجاب، تمنيت تغييره كما حصل لي ارتدى نظارته مرة أخرى فحدق عليه الحارس مرة ثانية.

أعرت انتباهه فقلت: "أعلم كيف تشعر، نحن ترعرعنا بطريقة دينية مع بعضنا حتى أصدقائنا في الخرطوم أشخاص غير متدينين".

فقال العمال: تذكرتهم يصلون موسى السائق والآخرون ـ كانوا يصلون في الحديقة. كان في منزلنا الخدم فقط يصلون. حين قدوم الليل الحارس يفتح البوابة لوصول سيارتنا في أواخر الليل .وبعدها يجلس ويتلو القرآن الكريم حتى قدوم صلاة الفجر .تذكرته يجلس خالفا رجليه في الحديقة داكن كالشجرة. اذا كان ماما وبابا يصلون وأيضًا أنا وأنت هذا كله لما حدث لنا لكنا أسرة طبيعية .

لا يحدث هذا...

الله يحمينا إذا أطعناه ودعواتنا لم نفعل ذلك هذا هو عقابنا. لا اتحدث بطلاقة مقنعة، دائمًا أحضر بقوة وأهزم.

لا تكن أحمقا، فصنع صوته كأبي حين يفعل شيء وهو مخطيء. كذبوا عنه .

أين الأموال التي يزعمون أنها اختلسها وآخذها خارج البلاد؟

حضرنا هنا ولم نجد شيئا. أنت محق هذا كان في الماضي .هذا أنت وأنا قلقون عن ألا اعتني. فقال: أعلم ذلك لكنه بصوت بعيد. الناس الذين زجوا بك في السجن لا يعتنون بك، تعتقد أنهم إذا سمحوا لك يخرجونك من هنا، لكن اهم شيء أن الله يسامحك سيفعل لك كل جميل ويفتح الأبواب، أبواب لم تكن حتى تعرفها ستفتح لك. هذا هو منهجي نجوى نعم أنها فرصتي .هز برأسه من ناحية إلى ناحية ،لا املك حل غير ذلك. واستمر على نبرته باهتزاز رأسه. احتمى بالنظر بعيدًا، وأبواب لم تكن اعرفها موجودة أنه إنسان غامض،حقاً غامض.

أنت بلا طموح، لأساعدك فضحك، أرادني أن أضحك معه .ثم نظر لي، أصغى لي نجوى، من الواضح أنت تظهرين شعورك بالسعادة ـ هذه شؤونك. لكننا بخير كما كنت، كيف يكون هو بخير كما هو؟ هو شاب ضائع يقول هو بخير.

الفصل الثالث عشر

أيام مضت، وأحب وظيفتي الجديدة، مي أثارت عاطفتي ،أخذت بيدي كنا نتمشى من غرفتها إلى الحمام. وتبتسم حين تراني في الصباح فسارت الأيام على هذا الإيقاع .لمياء غاضبة في الصباح، بصراحة أنها تهمس لأداء التحية، وفي عودتها في المساء

إلى المنزل متهيئة وتتسم بالحياة. يجب عليها أن تحب دراستها أخذت فترة في كي ملابسها الأنيقة وترتيب مستحضراتها الزجاجية على طاولة الملابس لديها الكثير من القلادات التي تعلقها على شكل خاص يقف كالشجرة المجردة من الفروع .أعجبت بقوس قزح متعدد الألوأن، أخذت عقدها اللؤلؤي في يدي كنت املك مثله أيضًا لكن أخذه عمر وأبتاعه ليشتري الخمور .طرحتها الحريرية تضعها على عنقها ليس على شعرها .وفي بعض الأوقات أجربها على رأسي، وأنظر إلى المرآة، هنالك وقت ليكون مظهري جيدا وليس هنالك أشكال حتى أن كنت مريضة أو متعافية وفي كم مرة كنت أمرض في الشهر ولأن مظهري متناقض، كأنه انزلق بعيدًا.

في كل صباح أجد الطعام اللين في المطبخ، يزعجني منذ وجود الدكتورة زينب، يعتقدون أنه جزء من يومي لأقضيه في نظافة المطبخ لسوء الاستخدام في النهار والليلة السابقة. يحزنني حين يتركون الطعام المطبوخ في الخارج كل ليلة .أضف لذلك أنه فاسد لا يأكلونه. كنت آكل بقايا طعامهم في كل فترة، لمياء قالت: "لا نأكل الطعام إلا إذا كان مطبوخا طازجا لنتناوله".

الإنارة في غرفة الجلوس تتغير يوميًا كالأشجار في الحديقة لتكون أكثر برقًا حين مي تنام وأجلس على الكرسي ذي الذراعين أينما الدكتورة زينب تجلس لا استمتع بإنارة الغرفة أو أشاهد التلفازعلى القنوات العربية. رأيت الكعبة والحجيج طائفين حولها، تمنيت أن أكون معهم. رأيت البنات الصغار يرتدين الحجاب وتمنيت أن فعلت ذلك في أعمارهن، كانت الرغبة في الماضي قليلة للندم .البرامج الدينية جعلتني أكثر صلابة في النية، كأنها تخبرني بأن لا أحزن. يعتني بي الله أنه لا يتركني .هو يعلم أنني أحبه ،وهو يعلم أنك تحاولين كل هذا. وكل هذا ليكون له معنى وقيمة في النهاية .تعلمت من هذه البرامج جزاء والجزاء كل أحد في الجنة، يكون عمره

ثلاثة وثلاثين عاما، مهما كان عمره حين وفاته، حواء أم البشر كانت أجمل امرأة خلقها الله والثأنية الأكثر جمالا هي سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقف على الطريق تحدثا معه ليصنع بنتا وتحدثا طويلاً وأندهش الجميع أن له ميعاد مع شخص ما، عديم الأهمية، هذا النوع من

التعليم صنع لي إحساسا، ولهذا السبب ذهبت إلى المسجد لأدرس. وادهشني الشيء الذي درسته ظل معي في المدرسة كنت أنسى كل شيء بعد الامتحأنات .وفي صلاة العيد في المسجد كانت هنالك أسئلة إسلامية للمعرفة، أجبت على كل الأسئلة صحيحا وفزت بصندوق حليب كادبور.

هنالك كتب عن الإسلام في شقة لمياء لكن ينتابني الشك أنها تنتمي لها، واكتشفت فجأة أنها ليست متدينة ولم تكن هنالك سجادة للصلاة، أو طرحة في غرفتها. توجد كتب في غرفة تامر تنتمي له. وبدأ يقرا كتب التصوف والتاريخ الإسلامي المعاصر وتفسير القرآن الكريم. لم تكن هنالك لتملأ الرفوف، وأقول: ذلك إنه يقرأها، لأنه في بعض الأحيأن يتركهم مفتوحين على مقعد توليت والدته، الذي صار مكتبته ويضعها على الطاولة جانب السرير.

تضايقني غرفته ؛أنها مظلمة ،وهنالك نافذة وحيدة تطل على مصعد الخدمات وتجلب أصوات ضوضاء لمراحل صنع المعادن. وصوت متحصل النفايات يعمل عمله .يجب لي أن افتح الأضواء من اجل تنظيف الغرفة. يطوي سجادة الصلاة بطريقة منتظمة على الكرسي لكنه يترك سريره غير مرتب، صناديق العصائر والشكولاتة الفارغة والأزرار مرمية حول سلة المهملات كأنه القاها داخل السلة فسقطوا. أخذة ملابس من السرير: استنشق رائحته عليهم وشعرت بالخجل، ومسحت طاولته. جمعت كتبه الجامعية في كومة واحدة، والأخريات على كومة أخرى.

ورتبت تسجيلات عمروخالد .دائمًا اترك تنظيف غرفته أخيرًا، بعد كل الأعمال النظامية. منذ فترة من الزمن قرأت قطعة من الإرشادات التافهة من اجل التمرين ."احتفظ بطاقتك المفضلة حتى تتمكن بالدافع الذي ستبدأ به مالا تريد الحصول عليه أكثر مع ذلك في بعض الأحيأن". أخذت أحد كتبه خارج الغرفة لأقرأه، حين تنام مي. أقرأ الذي كان يقرأه، تكون الغرفة هادئة من دون التلفاز. ليست كل الكتب من السهل بالنسبة لي أن أقرأها ، استمر في القراءة اذا فهمت ما تحويه الكتب أو ابعدها. من الصعب جدًا أن اجده في المنزل، يكون في الخارج قبل وصولي. في المساء نجتمع عادة في بعض الأحيان يصل هو حين مغادرتي في ممر الصالة تامر يخلع حذاءه وأنا ارتدي حذائي .دائما هو محترم ويبتسم حين اقول السلام عليًكم أن هذا من

التواضع الذي تفقده أخته. وأحيانًا أقابله في المصعد. يأخذهم الاثنين في نفس الوقت وربما في حالة سيري يبدو أنه دائما يلتفت لرؤيتي. وقفت على الجانب الأيمن لأدعه يمر، وفي نفس الوقت أنه تحرك في اتجاه الأيسر، إذا وقفت يساراً أيضًا، لا أدعه يمر فضحكنا معا. أنها السخافة استمريت أضحك حتى وصلت محطة البص. في بعض الأحيأن نجتمع عند هبوط المصعد، تعكس المرآة أنفسنا نبدو كأننا أربعة أشخاص، مرآة المهبط حساسة: تجعلني أصغر سنا، أكون أفضل من خلال رؤيتها وأشعر برفع معنوياتي حين رؤيتي له. أنه من الطبيعي، أن جمال التقوى للشباب يلفت الأنظار. أمتاز الطقس بالدفء في أحد الأيام ،قضينا أطول وقت للظهيرة في حديقة ريجون. في طريقنا للمنزل، أمام المسجد التقينا بتامر. فأتى إلينا، تبادلنا التحايا وموج يده على شعر مي، بضعة دقائق وهي لم تكن تعرف تامر. النعاس يداعبها وهي على كرسيها المتحرك تعبت من كثرة اللعب على المنطقة الرملية للأطفال والزلاقة. قال: أنا تامر وجلس على أمشاطه. وأخذ بيدها فطبع عليها قبلة. نحن الثلاثة أغلقنا الرصيف وحولنا أناس يبدوا أنهم منزعجون من ذلك ودفعت مي مرة أخرى وهو أصبح يسير معنا.

فقال تامر: "أريد أن آخذ مي إلى حديقة الحيوان في يوم الأحد وكان الكوخ يمطر .كان صوته مرتفعا بعض الشئ في مرورنا على طريق جون وود وشعرت بتوتر قليل من الأناس الحولي. القيت بنظرة من خلال أعينه توحي أنها نظرة إعرابي صغير السن وعيونه سوداء حادة كالإرهابي".

أدهشني وانتزع قائلا: "أنت تطبخين جيدا والشكر لك وأنت تطبخين لنا". شقيقته لم تشكرني لكنها تدفع لي مبلغا جيدا، وهو أكثر أهمية من كلمات الشكر في الوقت الحالي. على الرغم من أنه عبر عن شكره فقلت: "أرجوك في الليل ضع كل ما تبقى من الطعام داخل الثلاجة، الآن الطقس داخل المطبخ دافئ ،وأحيأنا يفسد الطعام وهذا نوع من التبذير". فخجل من ذلك .طأطأ رأسه قائلا: "نعم هذا ذنب تبذير الطعام". وربما تحدثت معه بأكثر خشونة .توضيحا لذلك بدأت بالتحدث معه .كيف التحق بالجامعة؟ حقا لا أعرف أشخاصا كثيرين .حسنا لا زلت أنت جديدا، في زمن وجيز سيكون لديك أصدقاء. توقفنا، عند ممر للمارة .انضممت إلى مجتمع المسلمين

يقومون بتنظيم صلاة الجمعة في الكلية. لا نريد الذهاب بعيدا ونفقد المحاضرات. وهذا لطيف . والمنهج الدراسي نفسه ـ كيف حالك مع الدراسة؟ أنا لا اعتاد مثل هذا الكلام لأرباب العمل الخاص بي، لم اتحدث مثل هذا أبدا إلى لمياء. فأجاب قائلا: "أنا لا أحب بشكل خاص". والداي أرادا أن أدرس إدارة أعمال. سيارة ماركت بيجو فضية وأخرى للأجرة وقفا للتو، فعبرنا نحن.

ما الذي كنت قد ترغب دراسته؟

أردت أن أدرس التاريخ الإسلامي، هذا لطيف أن يكون لديك هذا الاهتمام. بدأنا بالسير من شارع جون وود ذي المرور السريع.

هذا أنا.. أما ماما وبابا يقولون إنها مصلحة هواية، نعم يقولون لي أن أكون عمليا وتدرس شيئا لتحصل على وظيفة مناسبة .أنا واثقة من أن الله سوف يكافئك على محاولة إرضاء والديك.

فقال: "إن شاء الله،فابتسم كأني قد دفعت له مجاملة". يدي ترتعش عند إعداد سريره، حين أمس بالوسادة وحين افرغ جيوب الجينز قبل وضعها على الغسالة، وعلى جيوبه وجدت إيصال استلام من كافتيريا الجامعة وقطعة علكة، وعملات معدنية ومنشور حقيقي عن صينية ترف الجأر للفلسطينيين. رتبت مكتبته أخذت ما تبقى من برئ قلم الرصاص، ومسحت بقع قلم الحبر، فظهرت قطعة ورقية تحتوي على جدول أرقام القاعات والزمن للمحاضرات. وربما قد نسى ليأخذها أو هو يعلم إلى أين يذهب. فكتب على زاوية الحائط، "تمتص الدراسة" ابتسمت كأني استطيع سماعه ينطق الكلمات .تصفحت من خلال الكتاب الذي كان يدرس منه: الاقتصاد، المحاسبة وإدارة الأعمال. فيما مضى زمن طويل في جامعة الخرطوم ،عانيت من هذا المنهج. كنت في جامعة لتضييع الوقت حتى اتزوج ويكون لي أطفال، اعتقدت أن هذا هو السبب أن جميع الفتيات هنالك أيضا لكني فوجئت نفسي من اعتنائهم بالتعليم، قدمنا في وظائف مهنية فوجئت بأن لا اتحصل على الزواج.